كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، في الجلسة الافتتاحية لندوة "الشباب وشبكات الإنترنت االرقميّة" التي نظّمتها "فرنكوفونيا لبنان" وكليّة العلوم التربويّة في جامعة القدّيس يوسف بالشراكة مع المعهد الفرنسيّ، ووكالة التعليم الفرنسي في الخارج (AEFE)، في 6 أيّار (مايو) ٢٠١٥، تحت الرعاية المزدوجة لأكاديميّات العلوم في فرنسا ولبنان.

١. أودّ أن أقول في مستهلّ كلمتي هذه إنّه لأمرٌ طبيعيّ أن أرحّب بكم جميعًا إلى هذه الندوة. ولكن أن أرحّب بكم في ندوة تُعقَد حول موضوع الشباب والشبكات الرقميّة"، فإنّي أعبّر عن ذلك بعاطفة جيّاشة لأنّ الشباب، وبخاصّة الشباب الفرنكوفونيّ هو موضوع مؤتمراتكم ومقابلاتكم. وعلاوةً على ذلك، إنّه لمن الواجب النابع من العقل والقلب أن أرحّب في جامعة القدّيس يوسف بالسيّدة كلوتيلد دو فورشوكور Clotilde de Fouchécour ، رئيسة "فرنكوفونيا" والتي هي مصدر إلهام هذه الندوة وهي ممثلة اليوم بالسيّد هنري سوغون Henri Segond. أخيرًا، إنّها لكلمة امتنان وصداقة أرحّب من خلالها بالسيّد بيار لينا Pierre Léna وإيف كيري Yves Quéré وسيرج تيسرون Serge Tisseron وهم محاضرين كبار ويؤدّون خدمات جلّى في مجالات العلم والفرانكوفونيّة.

٢. من الواضح أنّكم تنتظرون، وننتظر مسبقًا المحاضرات حول سرّ علاقة الشباب بشبكات الإنترنت الرقميّة من قِبَل أشخاص متضلّعين في الموضوع. لذلك، أودّ أن تقتصر كلمتي على بعض المصطلحات التي تتبادر إلى ذهني حين يُثار موضوع الشباب والرقميّة.

٣. المصطلح الأوّل هو مصطلح "الإتقان" المقترن ب"المهارة". في الواقع، إنّ ما يؤثّر على الثقافة الرقميّة للشباب لا يقتصر على الإتقان التقنيّ للأدوات ؛ إنّ إتقانهم لأشكال التواصل المقبولة إجتماعيًّا في قلب عالم الشباب هو أكثر أهميّة. يولد الطفل مسبقا وبيده آلة رقميّة بالطبع، يتمّ استخدام التكنولوجيّات الحديثة كوسيلة لإنجاز مهمّة أو إيصال رسالة محدّدة، ولكن ما يهمّ الشابّ هو عرض صورة ذاتيّة لنفسه، وبناء وصيانة

المؤانسة الإجتماعيّة مع نظرائه. لقد أصبح العالم الإفتراضي عالمنا الحقيقيّ. والسؤال الذي أطرحه هو التالي : كيف يمكن للشابّ أن يعيش في العالم الإفتراضي من دون أن يغرق فيه ويضيع ؟

٤. المصطلح الثاني الذي يتبادر إلى ذهني هو "الإدمان". الأمر لا يتعلّق فقط بالإيقاع المستمرّ أو الإستعمال المتواصل للوسائل الرقميّة بل بضرورة أن تكون الشاشة رفيقتنا، لأنّ جزءًا كبيرًا من حياتنا هي من الآن وصاعدًا مرتبطة بالشاشة كمرآة لرغباتتنا واحتياجاتنا، وأحلامنا ومشاريعنا. تصبح الشاشة جزءًا لا يتجزّأ من كياننا لدرجة نشعر فيها أنّ الشاشة تصبح سجنًا لا يمكننا التحرّر منه بسهولة. هذا الأمر لا يتعلّق بالشباب فقط. ولكن ما هو الدور الذي يمكن أن يؤدّيه البالغون لمساعدة الشباب على وضع هذه المسافة الضروريّة بين الغرض ومستخدم هذا الغرض ؟

٥. العيش مع الشاشة باعتبارها رفيقة يعني قراءة النصّ والصورة ويعني على وجه الخصوص الكتابة والإنتاج. اليوم، ونحن نعلم ذلك جيّدًا، وقعت الكتابة الفرنكوفونيّة، من بين أمور أخرى، في أزمة لأنّ هذه الكتابة تتبع الطريقة اللّفظيّة ولا تكترث بالقواعد النحويّة، الأمر الذي يؤدّي إلى نصّ جديد وخاصّة إلى نمطٍ جديد وكذلك إلى منطق جديد. أنا لا أحاول أن ألقي اللّوم على الحاسوب النقّال (الكمبيوتر) والمحمول أو الهاتف النقّال من أجل جميع العِلل التي تحيق بثقافة الكلمات الكلاسيكيّة، ولكنّ الواقع يفرض نفسه : الأزمة تتفاقم مع التصاعد المذهل لشبكات الإنترنت وجميع الهواتف المحمولة والنقّالة والساعات الإلكترونيّة. ويصبح هذا الأمر صعبًا بالنسبة إلى الدراسة الجامعيّة. إنّها مسألةٌ كبيرة قد يعرّض المستقبل للخطر !

٦. يبدو أنّ شبكة الإنترنت وأدواتها تغذّي القلق الماحق لدى الشباب. هذه المخاوف تتعلّق بالفيروسات وسرقات البيانات الشخصيّة والاحتيالات، ناهيك عن المضايقات والشتائم والتهديد والسخرية، وحوادث الانتحار الخاصّة على إثر الكشف عن معلومات خاصّة على الشبكة، والأسئلة المتطفّلة. يخشى الشباب أيضًا نشر معلومات خاطئة. وقد يكون لهذه المخاوف أساس وحتّى لا أساس لها إلى حدّ كبير، إلا أنّ الخوف يتفاقم. ألا تكمن هنا أهميّة دور الآباء والأمّهات والمربّين في مجال الوقاية من المخاطر وحلّ المشاكل ؟

٧. هذه النقاط وغيرها تؤكّد شدّة إقبال الشباب على الولوج إلى العالم الرقميّ وتدعو إلى التفكير، على الأقلّ، بهذا العدد الكبير من القضايا العلميّة والإجتماعيّة والنفسيّة بما أنّ هذه الطرق الجديدة الكيانيّة والمعلوماتيّة في نقل المعرفة تقوم حاليًّا ببلورة هويّات إجتماعيّة جديدة وأساليب وطرق عمل جديدة، لدرجة أنّ شابًّا مسالمًا وودودًا يمكن أن يصبح بين ليلة وضحاها إرهابيًّا محنّكًا وقاطع رؤوس. وهذا يعني أنّ هناك الكثير من المهامّ الشاقّة يجب القيام بها وأنّ المربّين والمعلّمين وأولياء الأمور من المدارس والجامعات يحرصون أيضًا على معرفة كيفيّة التدخّل لمساعدة الشباب على قدر الإمكان، وخاصة الشباب الناطق باللّغة الفرنسيّة، كما يحرصون على أن ينجحوا في إقامة رابط بين الأجيال لصالح التقليد مع إضافة معرفة الابتكار والنموّ في ابتكار المعرفة. يبقى فهم كيفيّة عمل بوّابات الإنترنت ومشتقّاتها المدعوّة بالرقميّة رهانًا تربويًّا أساسيًّا لحضاراتنا.

وبالفعل، لقد عُقِدَت هذه الندوة اليوم من أجل فهم أفضل ! وبناءً عليه، أتمنّى لهذه الندوة أن تكون أداةً جيّدة للفهم ولبلورة أعمال مبتكرة في هذا المجال الرقميّ ولكل من قام بالتحضير لها بالتزام كبير وكفاية.